

المسرح التفاعلي والرقمنة

د / زغودة ذياب / مروش

جامعة باتنة 1

الملخص

ظهر النص التفاعلي الرقمي المنظوم والمنثور، وتنوعت فيه الوسائط الحديثة. والنص المسرحي باعتباره فن ناقل لنبض المجتمع، تلقي فيه سائر الفنون، ويفتح على قضايا سياسية وفكرية، قد تأثر بالتكنولوجيا الحديثة ورفع ستاره ليقدم مسرحا تفاعليا رقميا، تحول فيه المقترح إلى مثلق، ومحاور، ومشارك، في إنتاج رسالة العرض.

لينتهي البحث إلى نتائج هامة؛ تتمثل في: أن المسرح الرقمي أو التفاعلي، هو نوع من العروض، وهو شكل جديد من أشكال الإبداع، تخفي فيه لذة الممثل، ويفتقد للخشبة. كما يسعى للاستفادة من التكنولوجيا الحديثة، بما توفره من عناصر فنية في مجال الصوت، والصورة، والخدع، والمؤثرات البصرية والسمعية. ولا يقدم إلا عن طريق الانترنت.

Résumé :

Il est apparu le texte numérique interactif poétique et prose, ou il s'est varié de médias modernes. Le texte théâtral est art, l'art de la transmission de l'impulsion de la société. ou se rencontre tout les autres arts . Il s'ouvre sur les questions politiques et intellectuelles, elle a été influencée par la technologie moderne, et tirer son rideau pour fournir la scène d'une façon numérique interactive, où le spectateur devenu un récepteur, interlocuteur et participant à la production du message du présentation théâtrale. Cette étude a été marqué: « théâtre interactif et la numérisation » pour répondre à une série de questions, y compris :

Pour effectuer les recherches des résultats significatifs, sont: le théâtre numérique ou interactive est un type de présentation, une nouvelle forme de créativité, dans lequel disparaissent les frissons de l'acteur, et manque de podium , ainsi cherche à tirer parti de la technologie moderne, y compris la disponibilité des éléments techniques dans le domaine du son , photo, des astuces, des effets visuels et audio. Il est soumis que par Internet.

مقدمة:

مع مرور الزمن وتنامي التقدم التقني في مختلف مناحي الحياة، أصبح القرن الحالي قرن الثورة التكنولوجية، ذات الاتصال المباشر بمفهوم "الرقمنة"، فكل ما ندخله للحاسوب من حروف أو أرقام أو غيرها إنما هي مجموعة من الإشارات الكهربائية رتبت عن طريق الأرقام (0-1). هذه الرقمنة التي تجاوزت الحدود واخترقت الأبعاد ووصلت ما بين الأصقاع؛ فصارت الكرة الأرضية كأنها بيت واحد مكون من عدة غرف، أو بعبارة أوضح صار "العالم بين يديك"، حيث تحول "إلى قرية صغيرة يتم فيها التواصل بين الناس بأقصى درجات السرعة، وصار الناس يبحرون ويتجولون في الأصقاع ويتابعون آخر المستجدات، ويتعرفون على آخر الإصدارات وآخر الصيحات في كل مجال، وفي أي مضمار وهم لا يبرحون مقاعدتهم أمام حاسوب شخصي مجهز بمودام، وخط هاتف موصول بشبكة الإنترنت".¹ ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل إن استخدام صناعة المعلومات أدى إلى ظهور وسائط جديدة للتواصل، والإبداع والتلقي، فتواصل القريب مع البعيد باللغة المكتوبة أو المنطوقة أو بالصورة، "وتلقى المعارف المختلفة بمختلف العلامات كالصوت والصورة والكلمة"². إن التكنولوجيا بوسائطها المتعددة منحت المتلقي عوالم جديدة للتفاعل مع الإبداع، وأمنت حسه الفني، وكثفت شعوره بالمتعة أثناء تلقي الإبداع والتفاعل معه، وغاية التكنولوجيا من ذلك تحويله من متلق سلبي، إلى متلق

¹ سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، (المركز

الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2005) ص: 28.

² المرجع نفسه ص: 59.

إيجابي ينفذ إلى أعماق العمل الفني، ويسهم في صنعه وإعادة بناءه وفق رؤيته هو للنص¹.

هذا التغير النوعي في طبيعة الحياة الذي أقرته التقنية الحديثة، أحدث تغيراً آخرًا على مستوى طبيعة الثقافة والمعرفة، ومن بين ثمراته ظهور ما يعرف بالنص التفاعلي أو الرقمي؛ وهو نص استفاد مما يقدمه الوسيط الرقمي أو الآلة الرقمية، في التحول من صورته الموجودة في عقل المبدع -أو المنشئ- وهي صورة غير ملموسة أو غير مادية، إلى مجموعة رقمية بالاعتماد على المكون (0، 1)، فالنص الرقمي خارج وسيلة العرض، هو سيل من الأرقام، لا يمكن قراءته أو فك رموزه، إلا باستعمال الحاسوب.

وتعرف الناقدة المغربية زهور كرام النص الرقمي بأنه "التعبير الرقمي عن تطور النص الأدبي الذي يشهد شكلاً جديداً من التجلي الرمزي، باعتماد تقنيات التكنولوجيا الحديثة والوسائط الإلكترونية، يتم في علاقة وظيفية مع التكنولوجيا الحديثة ويقترح رؤية جديدة في إدراك العالم، كما أنه يعبر عن حالة انتقالية لمعنى الوجود ومنطق التفكير"². أما جوزيف طانيوس لبس فيعرفه بأنه: "وثيقة رقمية تتشكل من عقد من المعلومات قابلة لأن يتصل بعضها ببعض بواسطة روابط أو أسهم"³.

والتفاعلية *interactivité* مركبة من كلمتين في أصل اللاتيني أي من الكلمة السابقة *inter* وتعني بين أو فيما بين، ومن الكلمة *activus* وتفيد الممارسة في مقابل

¹نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي (عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001) ص 490.

² زهور كرام، الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية (رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2009) ص 22.

³جوزاف طانيوس لبس المعلوماتية واللغة والأدب والحضارة (. ترجمة المؤسسة الحديثة للكتاب (2012) ص: 101.

النظرية¹، معنى التفاعلية إذن يكمن في التبادل والتفاعل الذي ينشأ من خلال الاتصال بين شخصين، فهو ممارسة بين اثنين، أما التفاعلية وارتباطها بالوسيط، فهذا حديث العهد نسبياً، ووليد العلاقات بين الناس والآلات². ويعرف إدريس بلمليح التفاعلية بقوله: "أن التفاعل عملية تواصلية، تتم في المستوى الفني بين نص قادر على أن يستوعب قارئه، وقارئ قادر على أن يستوعب هذا النص، وتلك مسألة لا يمكن أن تتحقق إلا بوجود مبدع كبير، أو نص فني متميز ومدّش"³. وعليه يترجم مصطلح التفاعلية بأنه الممارسة أو التبادل والتفاعل بين شخصين؛ فقد تكون التفاعلية بين المرسلين والمستقبلين أو بين الإنسان والآلة أو بين الرسالة وقارئها.

لقد دخلت الدراسات الأدبية مرحلة النص الرقمي الذي "هو جنس أدبي جديد تخلّق في رحم التقنية، قوامه التفاعل والترابط، ويستثمر إمكانيات التكنولوجيا الحديثة، ويستغل على تقنية النص المترابط (HyperText) ويعتبر مختلف أشكال الوسائط المتعددة"⁴، ويركز على خاصية التفاعل والتبادل المتعلق بنظام إلكتروني، اتصالي متبادل؛ بحيث يكون الجواب فيه مباشراً و متواصلاً من خلال الحاسوب. "الحاسوب هو الوسيلة الوحيدة لتلقي هذا الأدب التفاعلي، مما يتطلب خبرة عملية في مجال البرمجة الرقمية، وتنوعاً في أساليب

¹ خالد زعوم، السعيد بومعيرة: التفاعلية في الإذاعة، أشكالها ووسائلها، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية، (تونس، 26، 2007) ص: 26.

² فضيلة تومي: تكنولوجيا الاتصال - التفاعلية - وعلاقتها بالبحث العلمي في الجامعة الجزائرية) مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، (عدد خاص، د ت) ص. 493 - 494 .

³ إدريس بلمليح، القراءة التفاعلية دراسات النصوص شعرية حديثة (دار توبقال لنشر، المغرب، ط 1، 2000)، ص. 6.

⁴ (عمر زرفاوي: الكتابة الزرقاء مدخل إلى الأدب التفاعلي)، مجلة الرافد، (دار الثقافة والإعلام، الشارقة، ع 56، أكتوبر 2013)، ص. 194.

عرض الوجهات وطرق تسلسل الإيقونات¹، فيتحقق بذلك التفاعل في أقصى درجاته ومستوياته بين النص وعلاماته، بعضها ببعض (اللغة، الصورة، الصوت، الحركة) وبين العلامات بعضها ببعض (لكونها مترابطة)، وبين المرسل والمتلقي، أين يصبح المتلقي للنص الرقمي التفاعلي، يحتل مكانة تعادل مكانة المبدع فيكون منتجا بالمعنى التام للكلمة، وفيتعدد بذلك المبدع، ويصبح الإبداع جماعيا.

فالنص لم يعد بناء لغويا فحسب، يتألف من سلسلة لفظية، بل أصبح شبكة كثيفة من العلاقات، ونصا نشيطا متحركا، مفتحا قابلا للتصرف والتعديل، متفاعلا ثلاثي الأبعاد. لقد أفلت من سجن الورقة ونزح إلى التشعبية، وسمح للقارئ أن يدخله من منافذ متعددة.

ورغم تعددت ترجمة المصطلح Hypertexte في اللغة العربية المتمثلة في: النص الفائق لنبييل علي، النص الممنهل لسامر محمد سعيد، النص المفرّج لحسام الخطيب، النص المنقرع لفاطمة البريكي، النص المتشعب لعبير سلامة، النص المترابط لسعيد يقطين. فإن هذه المصطلحات تلتقي جميعها في النص التفاعلي الرقمي، الذي يعد جورج لاندو George Landow (أستاذ اللغة الانجليزية والثقافة الرقمية بجامعة سنغافورة الوطنية) من أوائل المنظرين له. هذا النص الذي يعتبر فضاء لا يحده مكان، ويمكن لكل فرد التحليق في عالمه، ولما كان القارئ سندبادا بحريا فإنه مع النص المترابط يغدو سندبادا فضائيا، تطير به الروابط من فضاء إلى فضاء². فقد أتاح النص للقارئ إمكانية الإبحار والمزاوجة في التلقي بين المشاهدة والاستماع، ثم الإبداع، الذي يتحقق من خلال إسهامه في العملية نفسها، كما مكنه من الانتقال عن طريق الروابط من نص إلى آخر، فامتلك فضاء، "هذا الفضاء الذي صار لونه أزرق، لون الأعماق والأبعاد، يفتح باب

¹ أمجد حميد التميمي، مقدمة في النقد الثقافي التفاعلي، (مطبعة الزوراء، بغداد، 2009)، ص: 115

² سعيد يقطين. النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية (الدار البيضاء. المركز الثقافي العربي 2008). ص: 31 – 34.

الخيال والحلم، ويقود إلى عالم افتراضي¹. وقد تحدث فاسيلي كاندنسكي Wassily Kandinesky (أحد المبتكرين والمجددين في الفن الحديث ومكتشف الفن التجريدي) عن اللون الأزرق، وقال بأنه يعبر عن المعاني العميقة، ويمنح الإحساس بالطمأنينة². أما الروائي الأردني محمد سناجلة فيقول: "أصبح العالم شاشة مجرد شاشة زرقاء"³، وقد شق له طريقاً في هذا الحقل مع رواياته: شات(2005)، صقيع (2006)، وبذلك يكون قد دفع غيره للانشغال بالأدب الرقمي، وشجع الكتاب والباحثين على الانخراط في هذا التعبير الجديد، المختلف في نظامه، ولغاته، ومنطقه عن المؤلف في الكتابة الأدبية⁴، وعرض روايته الرقمية المسماة (شات) على شبكة الانترنت، محققاً بذلك الريادة العربية في هذا المجال؛ فرواية "شات" رواية تمرّدت على قوانين الكتابة الروائية القديمة ووطئت أرضاً بكرّاً للإبداع والكتابة، أرضاً أكثر انفتاحاً وتحرراً، فكانت رواية لا تشبه الروايات؛ تلوّنت بشكل ولغة ومشاعل وقضايا عصرها. يقول: إنّ رهان روايتنا تمثّل في فتحها آفاقاً أخرى جديدة للكتابة، وصنع بناء شكل أدبي مختلف، حيث يكون للوسيط التكنولوجي دور أساسي في عملية التشكّل الأدبي⁵.

¹ المرجع السابق(جوزاف طانيوس لبس المعلوماتية واللغة والأدب والحضارة).ص:55.

² فاسيلي كاندنسكي.الروحانية في الفن.ترجمة فهمي بدوي. (الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994).ص:72.

³ محمد سناجلة رواية الواقعية الرقمية تنظير نقدي).المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. 2005. ص:27).

⁴ زهور كرام، محمد سناجلة يربح الرهان (الموقع التفاعلي ظلال العاشق، 2016/11/23) الموقع الإلكتروني

⁵ (موقع ثقافات 2016/11/23) <http://sanajleh-shades.com>

الرواية الرقمية فرعاً أجناسياً جديداً: "شات" لـ "محمد سناجلة" تعلن طوراً جديداً في الأدب الموقع الإلكتروني <http://thaqafat.com>:

وهكذا تنوعت أجناس النص الرقمي من القصيدة الرقمية التي مورست منذ عشرين عاما في ثقافة الغرب، وتحديدًا في تجربة الشاعر الأميركي روبرت كاندال في ما أسماه قصيدة "الومضة"، ثم التجربة الأولى العراقية للشاعر معن عباس مشتاق في قصيدته الرقمية "تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق". والرواية الرقمية لروبرت أرلانو المعروف ببوبي رايب، "شروق شمس 69"، هذه الرواية هي عمل تعاوني يدمج مواهب مجموعة من الفنانين والمبرمجين بالإضافة إلى المؤلف، فيتضمن العمل الناتج صورًا وتصميمات وتسجيلات صوتية، وبعض البرمجيات.

والمسرح باعتباره شكل من أشكال الفن يترجم فيه الممثلون نصًا مكتوبًا إلى عرض تمثيلي على خشبة المسرح، وباعتبار أن العرض المسرحي من أكثر الفنون تعقيدًا، لأنه يتطلب لأدائه العديد من الفنانين منهم: المؤلف، والممثلون، والمخرج، ومصمم الديكور، والأزياء، والإضاءة. كما يتطلب مصممي رقصات، وموسيقيين، وملحنين. فهو يجمع بين النص والجو الذي يبتكره مصمم الديكور، والإلقاء، والحركات التي يقوم بها الممثلون. فالمسرح يعد من أصعب الفنون استعصاء على التعريف والتحديد. فقد جاء في المعجم المسرحي، أن المسرح كلمة تستخدم "للدلالة على شكل من أشكال الكتابة يقوم بعرض المتخيل عبر الكلمة"¹. وعرفت المسرحية بأنها: "نوع أدبي أساسه تمثيل طائفة من الناس، لحادثة إنسانية يحاكون أدوارها استنادًا إلى حركتهم على المسرح...."² والمسرح في بدايته ارتبط بالشعر؛ فكانت المسرحيات عبارة عن شعر، تقول صاحبة كتاب "المسرح الشعري عند صلاح عبد الصبور: "ارتبط الفن الدرامي منذ بداية نشأته لدى جميع شعوب العالم بالدين من ناحية، وبالشعر من ناحية أخرى، ثم انفصل عن الدين لدى بعض الشعوب، غير أنه

¹ ماري الياس وحنان قصاب حسن، المعجم المسرحي، (مكتبة لبنان ناشرون، ط 2، 2006، لبنان) ص: 422 .

² عدنان بن ذريل، فن كتابة المسرح، (اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1996) ص: 57 .

ظل مرتبطا بالشعر رغم كل التطورات الفنية والبنائية التي طرأت عليه حتى نهاية القرن الثامن عشر"¹.

هذا الجنس الأدبي (المسرح) لم يقف بعيدا عن التطورات التي جذبتها التقنية الحديثة، فقد عرف هو الآخر دخول عالم التقنية، مما يؤكد أن المسرح مرشح لتحولات جذرية في بنيته، انطلاقاً من أنه ليس نسقاً مغلقاً على ذاته، ولا هو بمنأى عن التأثير بالثورة الرقمية التي تجتاح كل ما يحيط بنا، بل بمجرد اجترارنا لهذه المصطلحات المستحدثة، يتأكد أننا نقف على عتبات ممارسة مسرحية لا ترتحن إلى التقليدية والماضوية التي ألفناها طويلاً.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما هو المسرح التفاعلي الرقمي؟ وما هي خصائصه، وأسسها؟ وهل يعتبر امتدادا للمسرح التقليدي؟ أم هو نوع جديد جذبته التقنية الحديثة؟

تعريف المسرح التفاعلي: عرف محمد حسن حبيب الكاتب الناقد العراقي المسرح الرقمي، بأنه "المسرح الذي يوظف معطيات التقانة العصرية الجديدة المتمثلة في استخدامه الوسائط الرقمية المتعددة في إنتاج أو تشكيل خطابه المسرحي، شريطة اكتسابه صفة التفاعلية"².

أما الأستاذة فاطمة البريكي عند ترجمتها للمصطلح الأجنبي (Interactive Drama) فقد اختارت مصطلح (المسرحية التفاعلية) وحاولت أن تقدم تعريفا جامعاً مانعاً وذلك بقولها: "هي نمط جديد من الكتابة الأدبية يتجاوز الفهم التقليدي لفعل الإبداع الأدبي، الذي يتمحور حول المبدع الواحد، إذ يشترك في تقديمه كتاب عدة، كما قد يدعى القارئ المتلقي أيضاً للمشاركة فيه، وهو مثال العمل الجماعي المنتج، الذي

¹ نعيمة مراد محمد، المسرح الشعري عند صلاح عبد الصبور، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1995)، ص. 5.

² فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء المغرب، بيروت - لبنان، 2006) ص 99..

يتخطى حدود الفردية ويفتح على آفاق الجماعة الرحبة"¹ . وتضيف في موضع آخر من كتابها "مدخل إلى الأدب التفاعلي" إن المسرح في هذه الحالة سيقدم لنا نصا (متعدد الأصوات - Polyphonic)، يمتلك القدرة على أن تعبر كل شخصية عن صوتها بشكل حقيقي دون تزييف، أو إدعاء، لأن كل شخصية تعبر عن وجهة نظر حملها إياها كاتب مختلف، وبهذا يكتسب العمل الإبداعي مصداقيته، في حين إن خاصية (تعدد الأصوات) في المسرحيات التقليدية قد تتطوي على قدر من التكلف والتصنع، لأنها جميعا تصدر عن كاتب واحد، يحاول في كل مرة تقمص دور شخصية من شخصياته، وأن يعبر عنها بأقرب صوت يمكن أن يمثلها".

وهناك تعريف آخر ورد في دليل اليونسكو مفاده أن "المسرح التفاعلي مسرح للتنشيط الاجتماعي بفعل ما يتيح للجمهور من إمكانات التواصل والتفاعل والتفكير والتعبير والمناقشة".

أما الأستاذة السورية ماري إلياس فتري أن المسرح التفاعلي هو مسرح يتوجه لجمهوره بموضوع محدد، ويطرح أسئلة، ويبحث عن الأجوبة مع الجمهور مهما كان نوعه (أطفال، يافعون، كبار)²، لأنه قائم على مبدأ التفاعل بين الممثل والجمهور، فهو يتعامل مع المتفرج بطريقة مختلفة عندما يحدد سلفاً نوعية هذا المتفرج، ويتوجه إليه مباشرة مدركاً ما يريده منه. لهذا فإن علاقته بالمؤسسة والمكان وكل مكونات العرض المسرحي تختلف جذرياً عن المسرح التقليدي. والمسرح التفاعلي هو مسرح بسيط (مسرح الفقراء) لا يحتاج في الغالب إلى وسائل المسرح المجهز كالإضاءة والديكور والإكسسوار، بل يقدم بدون خشبة ويقوم على مبادئ، من أبرزها:

¹ المرجع السابق، ص 100.

² وائل قدور، حوار مع الباحثة المسرحية والأستاذة ماري إلياس، (الموقع أرام كافية 2016/11/23) الموقع الإلكتروني : www.aram-grp.com

— الاختلاف عن المسرح التقليدي، في كونه يتعامل مع جمهور شريك في العرض، كما يقوم على توريط المتفرج في الحالة المسرحية، والمشاركة في إنتاجها.¹

— يهدف إلى معالجة مشكلة معينة، وإيجاد الحلول لها.

— يؤمن مساحة تسمح بالنقاش بين الممثلين والجمهور، هذا الأخير الذي لا يعد مجرد متلق فقط، بل هو جزء من العرض، الذي يتيح له تبادل الأدوار مع الممثلين، خصوصاً وأن هذا النوع من المسرح لا يحتاج إلى احتراف في التمثيل.

— غايته ليست تصدير مواهب تمثيلية فقط، بل خلق تواصل وحوار حقيقي بين الناس، والتخلص من المتفرج الملقن الصامت. فكان لابد من إيجاد فضاء على الشبكة العنكبوتية خاص بالنشاط المسرحي العربي، من باب تأكيد وجود الذات أمام هيمنة الآخر.²

من خلال هذه التعريفات التي تحدد المسرح الرقمي أو التفاعلي، يتبين لنا أن المسرح بكل ما يحتويه من عناصر قد دخل مرحلة جديدة، تخطت به من عالم الفردية إلى علم الجماعية والتفاعلية، هذا العالم الذي لا يعد المسرح فيه وسيلة من وسائل التسلية والترفيه فقط، بل إطار ناقل لنبض المجتمع منفتح على قضاياها السياسية والفكرية، وكاشف لأحوال النفس البشرية.

نشأة المسرح التفاعلي:

يعد تشارلز ديمر Charles Deemer رائد المسرح التفاعلي في الأدب الغربي بلا منازع، فقد ألف أول مسرحية تفاعلية عام 1985، مما يفيد أنه أول من ساهم في إنتاج الجنس الأدبي الإلكتروني، وذلك بالتزامن مع ظهور أول رواية تفاعلية. لقد ابتدع ديمر أسلوب الكتابة المسرحية الجديد قبل ظهور ما يعرف بشبكة

¹ المسرح التفاعلي، الجمهور شريك في الإبداع، إيناس محبس (الإمارات اليوم 2016/11/24

، الرابط : <http://www.emaratalyoun.com>

² ينظر حوار مع محمد حسين حبيب مؤسس أول تجربة تفاعلية للمسرح العربي، (منتديات ستار تايمز، 2016/11/23). على الرابط : <http://fwww.aljasr.com/f.aspx>

الإنترنت وانتشارها في أوساط الحاسوبيين، وذلك في منتصف ثمانينيات القرن الماضي. ولم تتوقف قيمة ما تم على يد ديمر عند حدود كتابة أول (مسرحية تفاعلية)، بل تجاوز إلى أنه أول من أسس مدرسة لتعليم كتابة (سيناريو- Screenplay) المسرح التفاعلي¹.

واللافت للنظر والمثير للاهتمام، أن (المسرحية التفاعلية) لم تعتمد في نشأتها على تقنيات متوفرة سلفا كما هو الشأن مع (الرواية التفاعلية) الأولى التي اعتمد مؤلفها على برنامج (المسرد) الذي أعده قبل كتابته لها بسنتين، كما هو الحال مع (القصيدة التفاعلية) الأولى، التي استثمرت الخصائص الفنية التي تقدمها تكنولوجيا الحواسيب المتطورة. لقد شقت (المسرحية التفاعلية) طريق ميلادها وانبثاقها مع برنامج (Iris) الذي يعتبره ديمر بمثابة ما يعرف اليوم بعد ظهور شبكة الأنترنت ب(النص المتفرع) لنظام التشغيل السابق (DOS)، إذ أقام بنية نصه (Château de Mort) عليه، بما يشابه ما يحدث الآن في النصوص التفاعلية باستخدام خصائص (النص المتفرع) في نظام التشغيل (WINDOWS).

غير أن الأستاذ محمد حسين حبيب، يشير إلى وجود تجارب كتابة مسرحية لعرض مسرحي كمبيوترى ترجع إلى سنة 1966، وذلك بالاعتماد على ما جاء في كتاب "الفن والكمبيوتر" لمؤلفه البولندي ماريك هولينسكي، والذي قام بترجمته إلى العربية الأستاذ عدنان مبارك، في الفصل السابع منه تحت عنوان "المسرح والهندسة الآلية" يقول: "في هذه العروض زود الممثلون والكادر التقني أيضا بأجهزة تلفون لاسلكي واستلم الممثلون تعليمات أثناء العرض تخص دورهم كذلك مهندس الصوت أو الضوء استلم بالطريقة نفسها التعليمات، وبعض العروض رافقتها الموسيقى التي ألفت مباشرة من جهاز التركيب في الكمبيوتر، كذلك الصور الملونة المنقولة من الشبكة التلفزيونية الداخلية، وكانت الأجهزة التقنية موصولة فيما بينها بشتى السبل،

¹ مع الثورة الرقمية. والمسرحيات التفاعلية. المسرح مرشحٌ لتحولات جذرية في بنيته، ناصر بن محمد العمري، الموقع الإلكتروني بتاريخ 2016/11/23 www.al-madina.com/node

مثلا : الحركة على الخشبة، والقاعة كانت تسجلها كاميرا تلفزيونية ،و حين يبذل الممثل مكانه كانت الإضاءة تتغير أوتوماتيكيا، ولم يقتصر عمل الكمبيوتر على هذه الأمور بل كان يتجاوب مع مواقف غير متوقعة مستفيدا من حرية اختيار هذه التوصية المبرمجة أو تلك".¹

وقد قدمت شركة Digital théâtre البريطانية لجمهور الفرق المسرحية البريطانية المعروفة، فرصة مشاهدة حية عبر تقنية عالية الجودة، تنقل كل ما يجري بالصالة باستخدام عدد من الكاميرات لالتقاط كل تفاصيل العرض من الكواليس إلى الخشبة وحتى الجمهور، حيث يتسنى للمتصفح أن يحمل المسرحية بأسعار رمزية ومشاهدتها لاحقا. ومسمى الشركة لا علاقة له بالمصطلح الذي أطلق على شكل من أشكال المسرح وهو (المسرح الرقمي) أو المسرحية الرقمية وهي "عبارة عن تأليف جماعي يجري عبر شبكة الإنترنت".²

أما بالنسبة للعالم العربي؛ فالبداية كما يقول عنها محمد حسين حبيب، كانت من بلاد الرافدين بعد الاحتلال الأمريكي للعراق سنة 2003، وذلك سنة 2005، بتقديم عرض مسرحي تحت عنوان "مسرح عبر الانترنت"، وبتضافر جهود العديد من المسرحيين العرب والغربيين، أبرزهم على الساحة العربية آنذاك المخرج والممثل المسرحي العراقي حازم كمال الدين. ثم جاءت تجربة الأستاذة ماري إلياس وهي أستاذة المسرح في المعهد العالي للفنون المسرحية لسنوات، وأستاذة في جامعة دمشق، قسم اللغة الفرنسية بمسرح الطفل بسوريا ، حدثتنا عنها الأنسة رؤى الطويل مدربة المسرح التفاعلي؛ حيث قالت: "...أما بالنسبة للمسرح التفاعلي فهو يعتمد على التواصل مع الشباب الموهوب وتعليمهم تقنيات المسرح التفاعلي مثل تقنيات الصوت والارتجال، بحيث ينطلقون من فكرة بسيطة إلى مشهد، ومن ثم إلى

¹ ندوة المسرح دوت كوم، سباعي السيد، الموقع الإلكتروني <http://www.startimes.com/?t=16849256>

² - المسرح العربي والمحتوى الإلكتروني (موقع عباس الحايك، 2016/11/25)

<https://abbashayek.com/> الرابط

مسرحية متكاملة"... وتختتم بالقول "بأن أهم ما يميز نشاطات الشبكة أنها تتم كلها عن طريق الألعاب، متجنبين بذلك إثارة الملل عند الشباب، إضافة إلى اعتمادها على الطرق المسلية والعصرية"¹.

أما ما يتعلق بالمؤلفات في هذا الشأن، فقد ألفت كتب تتناول هذا الجانب، من أبرزها: كتاب "المسرح والعالم الرقمي.. الممثلون والمشهد والجمهور" لمؤلفه انطونيو بيتزو، الذي تتحول المسميات الاصطلاحية عنده في إصداره هذا؛ فنراه يبدأ بمسرح الحاسوب لينتقل إلى "الممثل الرقمي" و"العرض الافتراضي"، و"الفضاء الإلكتروني المسرحي"، و"العرض المسرحي الرقمي" مروراً بـ "مسرح الإنترنت" و"عروض أون لاين"، ليصل إلى "التجريب المسرحي الرقمي" كذلك كتاب "التقنيات الرقمية وفرضيات الهيمنة على المسرح المعاصر" لصميم حسب الله، يتضمن هذا الكتاب مجموعة من الدراسات التي تنتمي جميعها إلى المؤتمر الدولي (المسرح والتقنيات الحديثة) الذي نظم في نوفمبر 2001 .

المسرحية الرقمية أو التفاعلية :

المسرحية الرقمية هي العمل الذي يعتمد على التكنولوجيا العصرية الجديدة المتمثلة في استخدامه الوسائط الرقمية المتعددة التي يقابلها في الفرنسية Multi Media. "وهي توظيف إمكانيات الحاسوب الرقمي من صوت، وصور، ونص، وصور ثابتة ومتحركة بشكل تفاعلي ومتكامل"²، "والوسائط المتعددة أو الوسائط الجديدة أو الوسائط المتكاملة تشمل: النص المكتوب، الرسوم والصور الثابتة، الصوت، الرسوم المتحركة، الصور المتحركة"³. هذه الوسائط تعمل بواسطة برامج خاصة، تتيح للمستخدم كتابة النص، وتثقيحه، واستعمال الرسوم والصور والصوت.

¹ <http://www.discover-syria.com/news/9095>

² (عبد الحافظ محمد سلامة تطبيقات الحاسوب والوسائط المتعددة في التعليم)، دار البداية ناشرون وموزعون ط 1 2013، عمان .الأردن.ص:123.

³ المرجع السابق ، ص:125 – 153

وقد وصفت فاطمة البريكي المسرحية التفاعلية: بأنها نمط جديد من الكتابة الأدبية، يتجاوز الفهم التقليدي لفعل الإبداع الأدبي الذي يتمحور حول المبدع الواحد، إذ يشترك في تقديمه عدة كتاب، كما يدعى القارئ أو المتلقي أيضا للمشاركة فيه، وهو مثال العمل الجماعي المنتج، الذي يتخطى حدود الفردية ويفتح على آفاق الجماعة الرحبة.

مميزات المسرحية الرقمية أو التفاعلية:

أهم ما يميز المسرحية الرقمية هو:

1 — أنها عرض مسرحي ذات صورة رقمية خالصة، تتحطم فيه قواعد الوحدات الثلاث والبناء الدرامي، مثلما تتحطم فيه الأزمنة، والأمكنة، ولا نشم خلاله رائحة الممثل بلحمه ودمه، أي إدخال نوع من الذات الأخرى الإلكترونية (الممثل الرقمي) كبديل عنه، فتظهر كائنات وشخصيات افتراضية رقمية، ذات ذاكرة محوسبة ومبرمجة ومراقبة، وسط عوالم افتراضية هي الأخرى، كأن تكون دمية آلية، أو روبوت بديل يلغي وجود الممثل الإنسان، هذا يستوجب غياب العرض المسرحي بصورته التقليدية.

2 — أما المتلقي فإضافة إلى اعتباره جزء من الكل، فهو يتدخل ويشارك في الحدث المسرحي، وهو في مكانه مخترقا الزمان والمكان عبر شاشة الحاسوب الزرقاء، فهناك ممثل ومصمم وتقني، يقومون بتلبية اقتراحات المتفرجين، الذين قد طلب منهم استخدام الحاسب الآلي وكاميرا وبعض الأدوات، وكل هذه الأشياء ترتبط بالشاشة التي وضعت تحت تصرفهم، وهم في هذه الحالة مخيرون بين مجرد المشاهدة أو المشاركة العملية، وبذلك يكون المتفرج هو الفاعل الأبرز في العملية المسرحية.

3 — يقدم المسرح التقني مسرحاً يعتمد على المواد التي تتوافر في الأقراص المدمجة والمصنعة الموجودة في الحاسوب، وتكون طريقة المشاهدة عالمية، بمعنى إن وجود صالة العرض المسرحي لم يعد لها حاجة، مادامنا نستطيع مشاهدة العروض المسرحية ونحن في غرفة نومنا.

4 – إن جميع عناصر ومكونات العرض المسرحي هي عناصر ومكونات لا واقع لها، وهي افتراضات خيالية ضاربة في التجسيم بالوقت الذي لا ملمس لها، أي أنها لا تخضع لحاسة اللمس، بقدر ما تخضع لحاسة البصر، وهذا يعني أن الدال البصري كعلامة مفترضة سيكون له الحضور الأوفر في تجربة العرض المسرحي الرقمي.

5 – في العرض المسرحي داخل (حياة المسرح) هناك الكثير من العناصر تتفصل عن مجسمات العرض في لحظة العرض، وتبدو التقانة وسيلة مساعدة وحسب، بينما في العرض المسرحي داخل (حياة مسرح الحاسوب) لا ينفصل أي عنصر من الحضور عن ذلك، فالعناصر كلها تتفاعل فيما بينها.

6 – الاستغناء تماماً عن الكواليس (مداخل ومخارج الممثل)، والاستعاضة عنها بنقاط دخول وخروج الشخصية في نقاط داخل الفراغ الزمني وداخل عقل النص وعقل المشاهد فقط، بحيث تدخل وتخرج الشخصية بشكل تخيلي ويبقى الممثل ماثلاً أمامنا طيلة العرض بواقعية لكون الممثل في العرض الرقمي يمثل الرقم (1) بينما الشخصية التي يؤديها تتأرجح ما بين (0،1) أو ما بين الظهور والاختفاء. وكذلك الاستغناء عن المشاهد والمناظر والفصول في كتابة النص الرقمي، والاكتفاء بوصف طبيعة الزمن لبداية الحدث الدرامي لكونه ركيزة هامة في المسرح الرقمي.

7 – المصمم السينوغرافي في المسرح الرقمي أو الافتراضي لم تعد له ضرورة ملحة، ولم تعد هناك حاجة إلى المخرج، فوظيفة المخرج تلاشت، وحتى وظيفة المؤلف التي تحولت إلى وظيفة (مبرمج الحاسوب) الذي تقع عليه مسؤولية وضع برامج، وإثارة دهشة المتفرج، ويبقى مرافقاً لجميع أفراد الفريق، ويتطلب منه خبرة كاملة في التصوير والبرمجة¹.

¹ جيم لامرز ومايكل بيرسون، تعلم برنامج (d studio max3) (ترجمة مركز التعريب والترجمة، بيروت الدار العربية للعلوم، ط1، 1996) ص:9.

أسس المسرح التفاعلي

تحدّد هذه الأسس في :

1. من حيث علاقته بالجمهور؛ فهو يتعامل مع المتفرج بطريقة مختلفة، عندما يُحدّد سلفاً نوعية هذا المتفرج، ويتوجه إليه مباشرة مدرّكاً ما يريده منه .
2. ومن حيث علاقته بالمؤسسة والمكان وكل مكونات العرض المسرحي: فهذه العلاقة تختلف جذرياً عن العلاقة الموجودة في المسرح التقليدي. فهو لا يُقدّم في صالات المسرح التقليدية، ويكسرُ العلاقة المتفق عليها والتي تفصل بين الممثل والمتفرج وبين خشبة الصالة وبين المرسل والمتلقي. وعلى المتفرج فيه أن يتورط في اللعبة المسرحية في كل مراحلها وأن يناقش ما يراه مناسباً للمناقشة.
3. من حيث الوظيفة: فهو مسرح يعتمد على مبدأ الارتجال واللعب، ويحاول أن يحافظ على مبدأ المتعة (أي متعة المتلقي)، ويقالِبُ أسس المسرح التقليدي من أجل فتح حوار مع متلقيه حول موضوع محدد، وهذا يعني دخول تعديلات جوهرية على مبدأ النص المسرحي، وعلى مبدأ العرض المسرحي، ومهمة الممثل وأدائه.
4. المسرح الحديث مبني على حقيقة افتراضية عرفها البعض على أنها "واقع مصطنع يصور المستخدم في فضاء ثلاثي الأبعاد، وهي محاكاة (الحاسوب) لأشكال حقيقية من الواقع، يمكنها التفاعل مع الإنسان، ويؤكد هذا القول عن الحاسوب كل من (جيم لاموز ومايكل بترسون) حين قالوا: "إن الحاسوب يقدم صوراً لأشكال لم تزل هي الأخرى في خيال المصمم، ويبدو ذلك واقعياً بمقدار ما تجيزه مهارة المستخدم لهذا البرنامج"¹.

¹ أبو بكر محمود الهوش. تقنية المعلومات ومكتبة المستقبل. (مكتبة ومطبعة الإشعاع. الإسكندرية)

الخاتمة :

لقد استفاد المسرح بشكل كبير من التقنية المستحدثة، فانطلق تجاه الجمهور عبر الانترنت على مستوى النص، وعلى مستوى العرض أيضاً، وعلى مستوى المواقع المعرفية والأكاديمية، ولاسيما على المستوى التقني، مما ساعد المخرج والمصمم على امتلاك القدرة في التنوع، وإضافة حلول متعددة لأي مشكلة تقنية. وبعد هذا العرض الذي اهتدى إلى مجموعة من النتائج أخصها فيما يلي:

إذا كانت تجربة المسرح الرقمي تظهر وعي المبدع بالتحويلات الحاصلة في محيطه الاجتماعي والثقافي الذي يحيا فيه، مما يجعله يحاول مسايرة هذه التغيرات الجارية والمتسارعة، وتزويد في مدى تحصيله المعرفي لعلوم عصره، حتى يتمكن من عرض فنه وإبداعه، وفق الذوق الجديد الذي صار عليه أفراد مجتمعه. فإن المسرح الرقمي الذي يرفضه البعض ويهاجمونه، ليس بديلاً مسرحياً، ولكنه نوع من العروض التي تسعى للاستفادة من التكنولوجيا الرقمية، بما توفره من عناصر فنية في مجال الصوت والصورة والخدع والمؤثرات البصرية والسمعية.

المسرح التفاعلي قد تختفي فيه لذة الإمتاع، وهي حالة حميمية يشعر بها الممثل على خشبة المسرح بامتزاج مشاعره مع مشاعر الجمهور. وستظل الحالة المسرحية الحية حالة منفردة من الصعب أن تحققها كل الأشكال والأنواع الوليدة.

المسرح هو الفن الذي يشكل الارتباط العضوي المتأصل بين حضور المتلقي و(إقحامه اللذيذ) في أجواء العرض المسرحي بصفته فنا للفرجة، فنا معاشا يتعانق فيه الانفعال والوجدان والشعور. وهذا لا تحققه الشاشة والتقنية لأنها ليست قادرة على إضفاء الروح الكامنة في الممثل.

المسرح التفاعلي يفتح الباب لوجود عناصر تقنية حديثة بالمسرح، يتيه فيها المتلقي بين الوساطة التي قدم من خلالها، وبين المساهمة في العمل.

النص المسرحي لم يعد مؤلفه وممثله شخص واحد، بل أصبح يقوم على

التشارك.

المسرحية الرقمية شكل جديد من أشكال الإبداع سارت في مسار خاص بها لا يمكن أن تتفصل عن الإنترنت.

التقنية ليست مجرد أساليب وعمليات وأدوات وبرامج ومعدات يمكن شراؤها، ويسهل على من تصل إليه أن يستوعبها، إنها أيضا موقف نفسي وتعبير عن موهبة خلاقية، وقدرة على تنظيم المعرفة بحيث يمكن الانتفاع بها.

- الحاسب يغير أبعاد وسرعة حياتنا، سواء أحببنا أم لم نحب، وهو موجود هنا، فلا يمكن أن نتجاهله. وعليه فإن ما يمكن قوله في الأخير، هو أن مفهوم المسرح الرقمي بحاجة إلى دراسة لجميع جوانبه وهذا ما يحمله المستقبل إن شاء الله.

- قائمة المصادر والمراجع:

1. 1- أبو بكر محمود الهوش. تقنية المعلومات ومكتبة المستقبل. مكتبة ومطبعة الإشعاع. الإسكندرية.
2. 2- إريس بلملح، لقراءة لفاعلية دراستك لنصوص شعرية حذرة، دل توفل لشتر، لمغرب، 2000.
3. 3- جوزاف طيوس لبس لمعلوماتية واللغة والأدب ولحضرة . ترجمة لمؤسسة لحديثة للكتاب 2012.
4. 4- أمجد حميد لميمي مقامة في نقد لثقافي لفاطي، مطبعة لزوراء، بغداد، 2009.
5. 5- جيم لامرز ومايكل بيرسون، تعلم برنامج (d studio max3) ترجمة: مركز التعريب والترجمة ، بيروت الدار العربية للعلوم ط1 1996،
6. 6- خالد زعوم، السعيد بومعيزة، التفاعلية في الإذاعة، أشكالها ووسائلها، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية، تونس، 26، ط 1 2007،
7. 7- زهور كرام، الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009.
8. 8- فاسيلي كاند نسكي. الروحانية في الفن. ترجمة فهمي بدوي. الهيئة المصرية العلمية للكتاب .1994.
9. 9- فاطمة ليركي: مدخل إلى الأدب لفاطي، لمركز لثقافي لعربي، لدر ليضاء لمغرب، بيروت، لبنان، 2006.
- 10- فضيلة تومي: تكنولوجيا الاتصال التفاعلية وعلاقتها بالبحث العلمي في الجامعة الجزائرية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص، دت.
- 11- سعيد يقطين. نص لمتربط ومستقبل لثقافة لعربية. بيروت. لدر ليضاء. لمركز لثقافي لعربي 2008.
- 12- سعيد يقطين، من النص الى النص لمتربط ، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب 2005
- 13- عبد الحافظ محمد سلامة تطبيقات الحاسوب والوسائط المتعددة في التعليم. دار البداية ناشرون وموزعون . ط 1 2013، عمان .الأردن.
- 14- عدنان بن نزيل، فن كتابة المسرح، تحد لكتاب لعرب، دمشق، سوريا، 1996.
- 15- عمر زرقاوي: الكتابة الزرقاء) مدخل إلى الأدب التفاعلي، مجلة الرافد، دار الثقافة والإعلام، الشارقة، ع 56، أكتوبر، 2013.
- 16- ملري إيلس وحنان قصاب حسن، المعجم لمسرحي، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط 2 2006،

- 17- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001
- 18- نعيمة مراد محمد، مسرح شعري عند صلاح عبد الصبور، لعيئة لمصرية لعلمة الكلبمصر 1995.